"وطنية وثبات"، الرسالة الرعوية للكاردينال ميرسييه

مالين: عيد الميلاد 1914

أحبائي أخوتي

ليس بمستحيل علي أن أقول لكم، إلى أي درجة ذاكرتكم حية في ذهني، خلال شهور المعاناة والحزن هذه التي نعبرها. تركتكم بغتة، في 20 آب، من أجل الذهاب لزيارة البابا المحب والمحترم الذي خسرناه، وللقيام بواجب ضمير لا يمكن ان اتراجع أمامه: وهو انتخاب خليفة البابا بيوس العاشر، البابا الذي يدير الكنيسة اليوم، تحت إسم، يحمل الكثير من الأمل والوعود، بينيديكتوس الخامس عشر. في روما نفسها، علمت، شيئًا فشيئًا، بتدمير جامعة لوفان جزئيًا، وحرق مكتبتها والتجهيزات العلمية لجامعتنا العظيمة، واستباحة المدينة، وإطلاق النار، والعذابات التي لحقت بالنساء، وبالأطفال، وبالرجال الغير قادرين على الدفاع عن انفسهم.

وفي حين كنتُ لا أزال ارتجف من هذه الفظاعات، أتتنا الوكالات التلغرافية بإعلان قصف كنيستنا الرائعة الميتروبوليتية كنيسة سيدتنا في ما بعد ديل، والقصر الأكليريكي، والأحياء المعتبرة في مدينتنا التي نحب مالينواز. بعيدًا عن أبرشيتي، ومحروم من كل وسائل التواصل معكم، كان لا بدّ لي من حصر ألمي في داخلي وأنا أمام المصلوب، لكن صدقوني أن ذكراكم لم تفارقني أبدًا. وكان تذكري لكم هو ما يزيد شجاعتي ويعطيني نورًا: هناك كارثة تقع على العالم، كنت أقول لنفسي، وعزيزتنا بلجيكا الصغيرة، الوفية لله، في مجموع شعبها، لا تزال فخورة بوطنيتها، وكبيرة بملكها وحكومتها، وهي الضحية الاولى.

كنت أنظر إلى مصلوبي: كنتُ أتأمل يسوع، حمل الله هذا الناعم والمتواضع، مقتولًا، مغمورًا بدمائه وكأنها رداءًا له، وكأنني سمعت يقع من فمه كلمات المزمور الذي ردده هو بإسمه: "إلهي، إلهي، لماذا ترتكتني؟" [...] وتوقفت هذه التمتمات على فمي، وفكرت بما كان قد قاله في إنجيله مخلصنا: "لا يجب أن يعامل الخادم أفضل من سيده". إن المسيحي هو تلميذ الرب الذي صار إنسانًا من أجل ان يتألم ويموت. أن نقف بوجه الألم، أن نتمرّد على العناية الإلهية، لأنها تسمح بالمعاناة والحزن، إنما هو نسيان لجذورنا. [...]. عندما، في وقت لاحق، في مالين، في لوفان، في أنفر، أعطيت نعمة أن ألقي السلام على هؤلاء الشجعان، الذي يحملون في جسدهم رصاصة، أو في جبينهم جرحًا، بسبب أنهم وقفوا ضد العدو وتحملوا صدمة هذه الهجمات، أتى إلى شفافي بشكل عفوي عبارة الاعتراف بالجميل المؤثرة التالية: أصدقاء، قلت لهم، لأجلنا، لأجل كل واحد منا، لأجلي، قمت بتعريض حياتكم للخطر وأنتم تعانون لذلك [...]

بحسب التقليد الرصين واللاهوتي للكلمة، لا، لا يُعتبر الجندي شهيدًا، لنه يكوت وفي يديه سلاح، في حين ان الشهيد يقحّم حياته من دون أي دفاع عن نفسه إزاء العنف الذي يمارسه عليه جزاره. لكن إذا سألمتوني ما هو رأي فيما خص الخلاص الأبدي للشجاع، الذي يعطي بشكل واع حياته من أجل الدفاع عن شرف وطنه، والانتقام للعدالة المنتهكة، لا أتردد في الإجابة أنه من من شك المسيح سيكلّل العمل العسكري، وان الموت، المقبول مسيحيًا، يؤمّن للجندي خلاص نفسه [...]. إن الجندي الذي يموت في سبيل إنقاذ إخوته، ومن أجل الدفاع عن منازل ومراكز وطنه، يتمّم هذا الشكل الأسمى من المحبة. [...]. أيتها الأمهات المسيحيات، كنّ فخورات بأبنائكنّ. من كل آلامنا، قد تكون آلامكن هل الأكثر شرفًا والأكثر استحقاقًا لاحترامنا. يبدو لي أننا نراكن في حالة الحزن، واقفات، إلى جانب عذراء الآلام، على أقدام الصليب. كل أبطالنا لا يتم ذكرهم في امر اليوم الصادر عن جيوشنا، ولكننا نحن مؤسسون على ان نترجى لهم إكليل الخلود الذي يغمر جبين المختارين.

المصدر: https://archive.org/stream/lettrepastoraled00merc/lettrepastoraled00merc_djvu.txt